قد شهر وذلك انه اتفق مع الاكراد الهكارية وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل ويملكوا اخاه
الملك الفايز ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الملك الكامل ففارق المنزله
ليلا جريده وصار الى اشموم طناح فنزل بها واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب
كل انسان هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شي من ذخايرهم واموالهم و
اسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم
اصبحوا فلم يروا من المسلمين احد على شاطي النيل كعادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذا اتاهم
من اخبرهم بالخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط امنين بغير منازع وكان
عبورهم في العشرين من ذي القعده سنة خمسة عشر وستماية فغنموا ما في عسكر المسلمين
وكان عظيما يعجز العادين وكان الملك الكامل يفارق الديار المصرية لانه لم يثق باحد من
عسكره وكان الفرنج قد ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين
ان وصل الملك المعظم عيسى بن ابي بكر العادل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركه بيومين و
الناس في امر مريج فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته فركب الملك
المعظم ابن المشطوب فاخرجه من خيمته الى الشام فاتصل بالملك الاشرف موسى بن الملك
العادل ** ولما انفصل عماد الدين بن المشطوب من الديار المصرية آلت حاله الى ان حوصر
بقلعة بين الموصل وسنجار تسمى تل يعفور فراسله الامير بدر الدين لولو اتابك صاحب
الموصل ولم يزل يخادعه الى ان اذعن للانقياد وحلف له على ذلك واقام بالموصل قليلا ثم قبض
عليه وذلك في سنة سبعة عشر وستماية وارسله الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل
وانما ارسله تقربا الى قلبه فان خروجه في هذه الدفعة كان عليه فاعتقله الملك الاشرف في
قلعة حران ومكث على هذه الحال الى ان توفي في الاعتقال في شهر ربيع الاخر سنة تسعة عشر
وستماية وبنت له ابنته قبة على باب مدينة راس العين ونقلته من حران اليها ودفنته بها
رحمه الله تعالى ورايت قبره هناك ولما كان بالسجن كتب اليه بعض الادبا وبيت

يا احمد ما زلت عماد الدين ** يا اشجع من امسك رمحا بيمين
لا تياس اذ حصلت في سجنهم ** ها يوسف قد اقام في السجن سنين

وكانت وفاة والده يوم الخميس سادس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسماية بنابلس
رحمه الله تعالى هكذا العماد الاصفهاني في كتابه البرق الشامي وقال بهاء الدين بن شداد
في كتابه سيرة صلاح الدين انه توفي يوم الاحد ثالث عشر من شوال من السنة المذكوره
بالقدس ودفن في داره بعد ان صلي عليه في المسجد الاقصى ولم يكن في امرا الدولة الصلاحية
احد يضاهيه في المنزله وعلو المرتبه وكان يسمونه الامير الكبير وكان ذلك عليه عنوانا لا
يشاركه فيه غيره ابو العباس احمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلي الملقب صلاح الدين الاربلي ٦٣١
هو من بيت كبير باربل وكان حاجبا عند الملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين صاحب
اربل فتغير عليه واعتقله مدة فلما فرج عنه خرج منها قاصدا بلاد الشام فاتصل بخدمة الملك
المغيث ابن الملك العادل وكان قد عرفه من اربل واحسنت حاله عنده فلما توفي المغيث انتقل
الصلاح الى الديار المصرية وخدم الملك الكامل فعظمت منزلته عنده ووصل منه الى ما لم يصل اليه

من غيره

من غيره واختص به في خلواته وجعله اميرا وكان الصلاح ذا فضيلة تامة ومشاركات حسنة
بلغني انه يحفظ الخلاصه في الفقه للامام الغزالي رحمه الله تعالى وله نظم حسن ودوبيت رائق
وبه تقدم عند الملوك الكامل تغير عليه واعتقله عدة سنين فعمل الصلاح دوبيت واملاه
على بعض القيان فغنا عند الملك الكامل فاستحسنه وساله لمن هذا فقال للصلاح فامر بالافراج
عنه والدوبيت المذكور ** ما امر تجنيك على الصب خفي ** افنيت زماني بالاسى والاسف
ماذا غضبا بقدر ذنبي فلقد ** بالغت وما فعلت كل الكفي ** وقيل ان الدوبيت الذي كان سبب خلاصه

اصنع ما شيت انت انت المحبوب ** ما لي ذنب بلى كما قلت ذنوب
هل تسمح بالوصال في ليلتنا ** تمحو اصداء القلب وتعفو وتتوب

فلما خرج عادت مكانته عنده الى احسن مما كانت عليه وكان الملك الكامل قد تغير على بعض
اخوته فدخل ذلك الاخ على الصلاح وساله ان يصلح امره مع الملك الكامل فكتب اليه الصلاح

وشرط صاحبان يكونا كما ** قد كان يوسف في الحسنى لاخوته
اسوا فقابلهم بالعفو وافتقروا ** فبرهم وتولاهم برحمته

قيل ان الملك الفايز تقي الدين ابراهيم وعند وصول الانبرور صاحب صقلية الى ساحل الشام
في سنة ست وعشرين وستماية بعث الكامل اليه رسولا فلما قرر القواعد واستحلفه كتب
الى الملك الكامل

زعم اللعين الانبرور بانه ** سلم يدوم لنا على اقواله
ستر بها اليمين فان تعرض ناكثا ** فلياكلن لذاك لحم شماله

ومن شعره رحمه الله تعالى

واذا بايت بنيك فاعلم انهم ** قطعوا اليك مسافة الاجال
وصل البنون الى محل ابيهم ** وتجهز الاباء للترحال

وانشد بعض اصحابنا له

يوم القيمة فيه ما سمعت به ** من كل هول فكن منه على حذر
يكفيك من هوله ان لست تلقيه ** الا اذا ذقت طعم الموت بالسهر

وكتب اليه شرف الدين بن عنين الدمشقي كتابا من دمشق الى الديار المصريه وفي اوله

ابثك ما لقيت من الليالي ** فقد حصت نوائبها جناحي
وكيف يفيق من عنت الرزايا ** مريض ما يرى وجه الصلاح

قال صاحبنا عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدلان المترجم الموصلي ان هذا الكتاب كان على يديه
وتضمن وصيته وفي اوله ابثك ما لقيت من الليالي الى اخره فاجاب وكتب اليه هذه

لو كنت مهدي على مقدار قدركم ** لكنت اهدي اليك السهل والجبلا
فانما العبد اهدى كنه قدرته ** والنمل يعذر في القدر الذي حملا

وللصلاح ديوان شعر وديوان دوبيت وما نال وافر الحرمة عالي المنزلة عنده وعند الملوك
فلما قصد الملك الكامل بلاد الروم وهو في الخدمة مرض في العسكر بالقرب من السويدا فحمل
الى الرها فمات قبل دخوله لها في خامس عشر ذي الحجة سنة احدى وثلثين وستماية ودفن بظاهرها

Copyright © King Saud University